أمحوتب

وزير الملك زوسر وطبيبه

وبالتالي إلـه الطب المصري القديم

خصص هذا المقال لذكرى الطبيب والساحر والحكيم الممتاز ، الذى ظهر لأول مرة على مسرح التاريخ المصري في عهد الملك زوسر من الأسرة الثالثة كما ظهر بعدئذ مرة ثانية على نفس ذلك المسرح ، خلال مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة .

فالبك أيها القارىء تاريخ ذلك الطبيب « أمحوتب » في عصر نشاطه ، وشباب شهرته ، معاصراً للفرعون « زوسر » ، وفي العصور التالية ، حيث كان معتبراً نصف إله ثم أحد الآلهة المصرية .

﴿ نشأته وظهوره ﴾ كانت مدارس الطب عند قدماء المصريين تابعة للهياكل وخاصة برجال الدين . قال هيرودت في كتابه الثاني ، الفصل ٨٤ :

« وكان من النظم المتبعة عندهم أن كل واحد من الأطباء يختص بعلاج مرض واحد ، » « لا يعالج غيره . فكان فريق مختصاً بعلاج أمراض البطن ، وفريق مختصاً بأمراض » « الرأس ، وفريق مختصاً بأمراض الأسنان ، وفريق مختصاً بالأمراض الباطنية » .

وقد ذكر هوميروس في كتابه « الأوذيسية » في الجزء الرابع العدد ٢٢٧ ، أولئك الأطباء ، ووصفهم بالمهارة في الطب والتفوق فيه حيث قال : « إن الرجال في مصر أكثر مهارة في الطب من جميع الشعوب » .

وقال « مانيثون » المؤرخ المصري القديم : « إن الملك « أتونيس » من الأسرة الأولى مارس الطب ، ووضع كتباً قيمة في « التشريح » ، ولكن يد الدهر قد لعبت بتلك الكتب حتى لم يبق لها أثر الآن .

وإنا لذاكرون هنا موجزاً عن حياة « أمحوتب » في أدواره الثلاثة ، التي لعب فيها أدواره الرائعة على مسرح التاريخ ، حتى كان له من المكانة ، ما ألزم المؤسسين الأطباء وأفذاذ الفراعنة وعلماء المؤرخين أن يشيدوا بذكره ، وأن يكتبوا له صفحات ناصعة بيضاء ، باقية على الدهور والأزمان :

(١) « أمحوتب » معاصراً الملك « زوسر » (٢٩٨٠ سنة ق . م)
(٢) « أمحوتب » طبيباً للف إلّه (سنوات ٢٨٥٠ — ٢٥٢٥ ق . م)
(٣) « أمحوتب » الحكيم للطب (سنوات ٢٧٢٥ ق . م — ٢٥٥٠ ق . م)

١ — ﴿ أمحوتب المعاصر للملك زوسر ﴾ ولد « أمحوتب » في قرية « عنخ تاوي » القريبة من ممفيس ، في ١٦ من أبيب ، وتوفي في ١٧ من مسرى ، ولكنّا لا نعرف في أية سنة ولد ، ولا في أية سنة توفي ، كما إنا لا نعرف عن تاريخ طفولته شيئاً ، وكان أبوه « كا ـ نفر » مهندساً معمارياً بارعاً ، وكانت أمه تدعى « خرد ـ عنخ » ، وزوجته تدعى « رنبت ـ نفرت » وابنه « رع ـ حتب » .

وقد اصطلح قدماء المصريين على أن معنى « أمحوتب » — « الآتي بسلام » .

ولقد بدأ « أمحوتب » حياته بنشاط متنوع نادر حتى استحق أن يلقب بالألقاب الآتية (١) وزير (٢) مهندس معماري (٣) كاهن وعالم بالطقوس الدينية (٤) حكيم وكاتب ماهر في علم الفلك (٥) طبيب وساحر .

١ — ﴿ أمحوتب الوزير ﴾ كانت وظيفة الوزير تفرعون من الوظائف السامية ذات المسئولية الكبرى . فقد كان الوزير في الوقت الواحد يجمع بين الوظائف والألقاب المتنوعة : « حبيب الله ، وفم السلام في الديار المصرية ، والمتصرف بأمر الملك في الوجهين القبلي والبحري ، وحامل أختام الملك ، ورئيس الأبياء » .

وفي عهد الدولة القديمة اشتهر في الأمة المصرية ثلاثة وزراء (١) أمحوتب (٢) كاجمنا (٣) فتاح حتب .

ووُجد منقوشاً على صخرة من حجر الجرانيت في جزيرة الساحل قبلي أسوان على ميلين منها ، خرافة مجاعة السبع السنين ، وإن تاريخها يرجع الى عصر البطالسة ، على أن شكلها يدل بوضوح على رجوع تاريخها الى عهد الملك « زوسر » ، ووزيره « أمحوتب »

ش ١ — الملك زوسر من الأسرة الثالثة

وقد ذكر في الفصل ٤١ ، العدد ٥٤ من سفر التكوين : « وابتدأت سني الجوع تأتي كما قال يوسف ، فكان جوع في جميع البلدان ، وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبز »

وفي سنة ١٩٢٦ عُثر على تمثال الملك « زوسر » (ش ١) في الهرم المدرج ، وقد نقش على قاعدته أن الوزير أمحوتب أهداه لمليكه .

ب — ﴿ أمحوتب المهندس المعماري ﴾ كان « أمحوتب » رئيس جميع أشغال الملك « زوسر » في الوجهين القبلي والبحري ، وكان مهندساً معمارياً بارعاً ، إذ تعلم هذا الفن عن أبيه « كانفر » الذي اشتهر بفنه في جميع بقاع الديار المصرية .

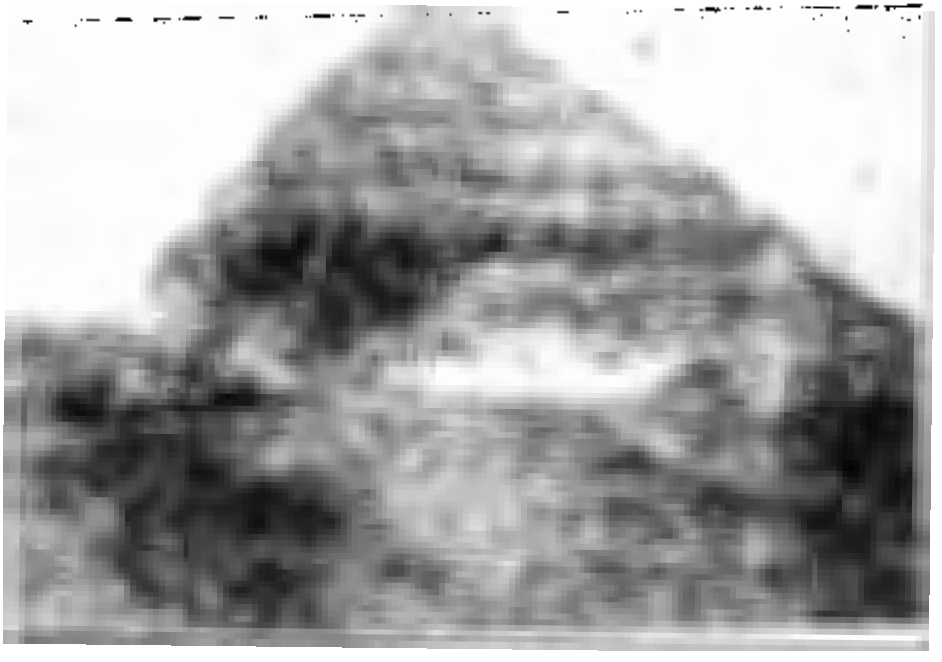

شكل ٢ — الهرم المدرّج للملك زوسر

ولما اعتزم الملك « زوسر » بناء هرمه المدرج (ش٢) في سقارة بمقربة من ممفيس عيّن « أمحوتب » وزيراً مهندساً للاشراف على بناء ذلك الهرم فكان ذلك الهرم درجة انتقال في قبور قدماء ملوك مصر من المصطبة إلى الهرم الحقيقي . وأول من اخترع الهرم المدرج هو « زوسر » ووزيره « أمحوتب » ذلك المهندس الذي وضع هرم مليكه على شكل مستطيل تقريباً ، تبلغ مساحة قاعدته الشرقية والغربية ٣٩٦ قدماً ، وخلوطها من الجانبين

الشمالي والجنوبي ٣٥٢ قدماً وارتفاعه ١٩٥ قدماً تقريباً ، وله ست درجات طول الواحدة منها على الترتيب : ٣٨ ، ٣٦ ، ٣٤ و ٣٢ ، ٣١ ، ٢٩ ، فيكون مجموعها ٢٠١ قدماً ، ويتفاوت عرضها بين ستة وسبعة أقدام .

واتسعت رقعة البلاد المصرية في زمانه ، وشُيِّدت طرق المواصلات بين البلاد المصرية وبلاد الهند وما بين النهرين ، إذ وجد في تلك البلاد آثار قديمة وصُنِعت على شكل هرم « زومر » المدرَّج ، يستدل بها على انه كان بين مصر وتلك البلاد طرق مواصلات (راجع كتاب : W, Simpson. The Tower of Babel and the hirs Nimrod.)

ج — ﴿ أحوتب رئيس كهنة ﴾ كان الكهنة عند قدماء المصريين طبقتين : الأولى الراقية وهم الأنبياء (جوتتر) أي خدمة الآلهة ، والثانية العادية (أُوآب) . وكان أحوتب رئيس الكهنة الدائمين ومن الطبقة الأولى الراقية ، حيث اعتبره عامة الشعب كاهناً وطبيباً .

وكان فرعون هو الكاهن الوحيد الأعلى ، المتأسي من حوروس الملبس على جميع الطقوس الدينية ، ولكن « أحوتب » باعتباره ممثل الملك ، له جميع السلطات الدينية المخولة له من مليكه ، كان في نظر عامة الشعب رئيس الكهنة .

د — ﴿ أحوتب حكيم وكاتب ﴾ اشتهر « أحوتب » بأنه أكبر حكماء المصريين ، وكان له في ذلك الميدان آثار كثيرة بقيت أجيالاً ودهوراً طويلة وانتشر بعضها في كثير من البلاد ، ومن ذلك الغناء الجنازي الشهير « بغناء القيثارة » ، ومنه : « ألقِ خلفك كل الهموم ، واذكر الأفراح حتى يأتي اليوم الذي تسافر فيه الى أرض الصمت » . فكان لهذا الغناء أثر عظيم في نفوس المصريين ومن جاورهم . وقد ترجمه العالم الألماني « إرمان » من المصرية القديمة الى لغته ، كما ترجم هذا الغناء الى عبارات أشهرها ما ذكرناه آنفاً . وبقيت هذه الأنشودة سنين طويلة حتى نقلها اليونان والرومان عن المصريين ، وترجموها بما يأتي :

« دعنا نأكل ونشرب لأننا غداً نموت » وذكر القديس بولس الرسول هذه الأنشودة في رسالته الثانية لأهل « كورنثوس » في الفصل ١٥ العدد ٣٢ بعبارة : « إذا كان الأموات لا يقومون ، فلنأكل ونشرب فإنا غداً نموت » .

* * *

وقال هيردوت في الفصل ٧٨ من كتابه الثاني : « إعتاد أغنياء المصريين أن يأتوا بعد

تقديم الأطعمة في ولائمهم، بتابوت من الخشب (ش ٣) فيه صورة المتوفى في هيئة مومياء ، يبلغ طولها ذراعاً أو ذراعين ، ويعتقدون بها أن [illegible] قائلين له : انظر الى هذه الصورة ، وكل واشرب واشرح . فإنك ستكون [illegible]

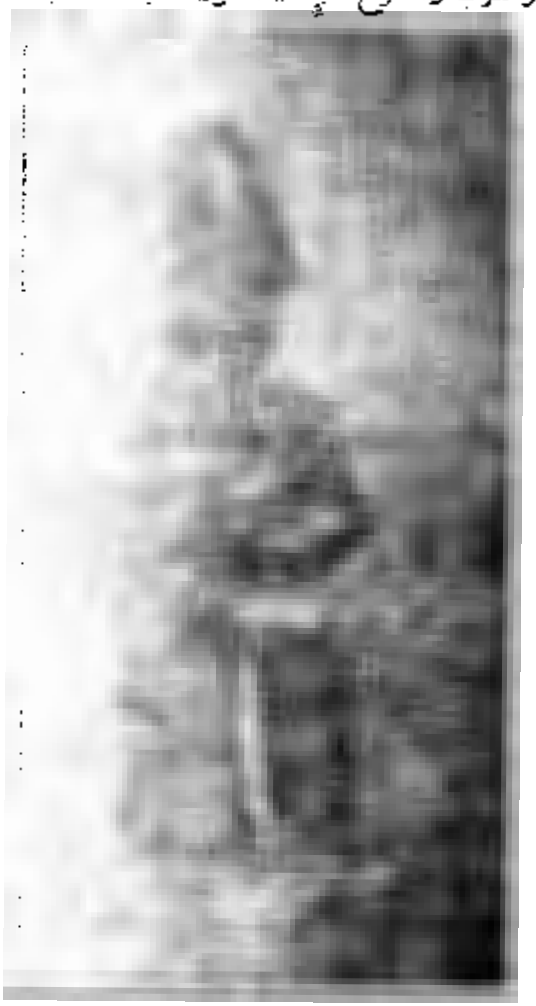

(ش ٣)
تابوت من الخشب يحتوي على جثة محنطة من الزمن الثالث

(ش ٤) أزوريس إله الأموات

وكان من عاداتهم أن عملية تحنيط جثة الميت تستغرق أربعين يوماً ، [illegible] قبرها ، وفي خلال تلك المدة يقيمون الحفلات الطقسية عليها ، والأصدقاء [illegible] ويطوفون بالجثة المحنطة في كل وليمة عند انتهائها .

وقال « إشتين » (Stein) إن هذا الوجه المقرن هو أزوريس (ش ٤) [illegible] الأموات

لأن كل انسان يموت يصير « إزوريساً » في العالم الثاني . وذكر فلوطرخوس « Plutarchus » ولوكيان « Lucian » هذه العبارة ، غير أنه لا يوجد لها أثر في العاديات القديمة .

وقال « ماسبرو » في كتابه « Annuaire Des Etudes Grecques pp. 75—126 »

« يوجد في المتاحف وجوه كثيرة صغيرة مصنوعة من الخشب تمثل موميا في نعش ، بينها وبين ما وصفه هيردوت كثير الشبه ، وان العظة التي نقتبسها منه مذكورة في بعض القصائد المصرية القديمة » كما أوضحنا ذلك سابقاً .

وكان قدماء المصريين يعتبرون ان سعادتهم في تشييد مدافنهم ، وكانوا لا يدخلون القبور ، بل يجتمعون في أيام معلومة في مدافن أجدادهم ، ويقيمون الولائم لهم ، ويطوفون بتمثال حول المدعوين .

اشتهر اسم « امحوتب » مع الحكيمين الشهيرين : « كاجمنا » المعاصر « لخوني » آخر ملوك الأسرة الثالثة ، « وفتاح حتب » وزير « آمي » آخر ملوك الأسرة الخامسة.

و « لفتاح حتب » نصائح دينية قيمة مؤثرة في نفوس الخاصة والعامة ، نذكر منها هذه النصيحة الغالية التي تعلمنا فضيلة التواضع ، لصدورها من فيلسوف مصري قديم وهي : « إذا قلت الرفعة بعد الضعة ، وحزت الثروة بعد الفاقة ، فلا تدخر الأموال بمنع الحقوق عن أهلها ، فانك أمين على نعم الله ، والأمين يؤدي أمانته ، وإن جميع ما وصل إليك ، سينتقل عنك الى غيرك ، ولا يبقى منه لك الا الذكر إن حسناً أو سيئاً »(١)

(ش ٥) تمثال لكاتب (مستشار) مقرب بالمتحف المصري بالطبقة السفلى

وكان « أمحوتب » كاتباً أي مستشار الملك (ش ٥) « زوسر » يؤيد ذلك النقش الذي عثر عليه في معبد النوبة ونصه « أمحوتب رئيس الكتبة لملاك الوجهين القبلي والبحري » .

(١) راجع كتاب الادب والدين عند قدماء المصريين « للطوخي ذكري صفحات ١٥ — ٢٠ »

٨ — ﴿ أمحوتب عالماً بالفلك والنجوم ﴾ كان المعبد « تحوت » عالماً في الفلك وغيره من العلوم ، حتى كان ينسب اليه وضع علم الفلك ، ولكن الفلك الأثاني « زيتي » (Sethe) عثر في نجع يوناني يرجع تاريخه الى سنة ١٣٨ ق . م. ان « أمحوتب » كان شريكاً للمعبود « هرمس » في التنجيم (أي معرفة المغيبات بواسطة النجوم) .

قال هيردوتس في كتابه الثاني في العدد الرابع : « أما ما يختص بالأمور الفلكية وعلم النجوم ، فقد اتفق الجميع على أن المصريين أصحاب الفضل والسبق في رصد سير النجوم والكواكب » .

* * *

٩ — ﴿ أمحوتب ساحراً وطبيباً ﴾ كان السحر والطب في عهد الفراعنة ممتزجين بعضهما ببعض ، وكان السحر في الغالب معتبراً عندهم قرين الطب ، كما كان « أمحوتب » معتبراً نصف إلّه للطب في عهد الملك « سنكاوزع » من الاسرة الرابعة ، وإلهاً كاملاً للطب في عهد العجم في مصر .

١٠ — ﴿ أمحوتب نصف إله للطب ﴾ كان قدماء المصريين يطلقون على كل من امتاز في حياته بميزات طبية قانونية وذهنية ، لقب « البطل » أو « البطل الالهي » أو « البطل نصف الّه » ، وكذلك كان عامة الشعب اليوناني يعتبر أولئك الممتازين بعد موتهم قوماً فاقوا قوة البشر ، فيقدسون لهم فروض العبادة من أجل ذلك .

والورقة البردية التي عثر عليها في سنة ١٩١٣ العالمان « جرنفل وهنت » في « أكسيرنكوس » (Oxyrynchus) بالفيوم تدل بوضوح على أن « أمحوتب » كان معتبراً عندهم نصف إلّه للطب ، إذ وجد مكتوباً عليها « أن « أمحوتب » كان معتبراً نصف إله في عهد الملك « سنكاوزع » بن خوفو الذي يرجع تاريخه الى سنة ٢٨٥٠ ق . م ، وبعد بداية حكم زوسر بمائة وثلاثين عاماً . وفي الغالب أن تلك الورقة البردية كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد .

* * *

ومن الغريب أن هيردوتس ذكر في الفصل ٥٥ من كتابه الثاني « إن قدماء المصريين لم يؤدوا فرائض العبادة « للأبطال » ، فكأن هيردوتس كان يجهل تاريخ قدماء المصريين وديانتهم الحقيقية ، ولم يرشده أحد من الكهنة الى أن من أبطال قدماء المصريين

« أمحوتب » ، وأمنوفيس بن حاپي » ش ٦) الذين عدّتهما العامة الشعب المصري وألّهها أخيرًا الى الألوهية . وفيما عدا هذه المعلومات الكثيرة . كذلك كان هيرودوتس لا يعرف شيئًا عن جغرافية مصر القديمة ، ولم يعرفها لعرف انه كان من بلادها في عهد البرنلق بلدة تدعى « قرية الأبطال » وهي التي عرفها البونانيون بتل المخوطة (بيثوم) .

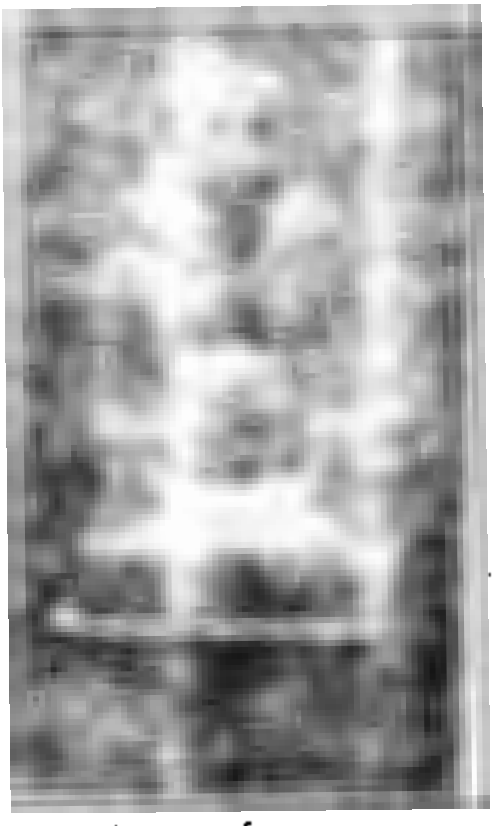

(ش ٦) أمنوفيس بن حاپي

(٧) أمحوتب كصف آله الطب

وكان قدماء المصريين يصورون « أمحوتب » صوراً متنوعة ، ويرسمونه رسوماً متعددة ، تختلف باختلاف تطوراته ، وتتشكل حسب رقي درجاته ، فكانوا يرسمونه بهيئة كصف إله الطب (ش ٧) جالساً وبيده ملف على هيئة ورق البردي ، وفي رقبته عقدان ، وتارة يصورونه عاري الرأس ، وأخرى لابساً قبعته ورسموه إلمامًا كاملاً على صورة انسان حاملاً الشارات الملكية ، وفي يده اليمنى صولجان ، وفي اليسرى علامة الحياة كما رسموه واقفاً وجالساً (١)

(١) راجع (ش ٨) تالوت مصيص

٣ — ﴿ أمحوتب إلـه الطب ﴾ كان « أمحوتب » وزيراً لملك « زوسر » ، ثم رقي إلى درجة إلـه الطب في عهد كانت مصر تحت نير الفرس ومن « قمبيز » ، وفي الوقت الذي طرد فيه الاشوريون سنة ٦٥٤ ق . م . حتى ولاية المجم صنه ٥٢٥ ق . م وكان قد مضى بين وزارته وتأليهه خمسة عشر جيلاً .

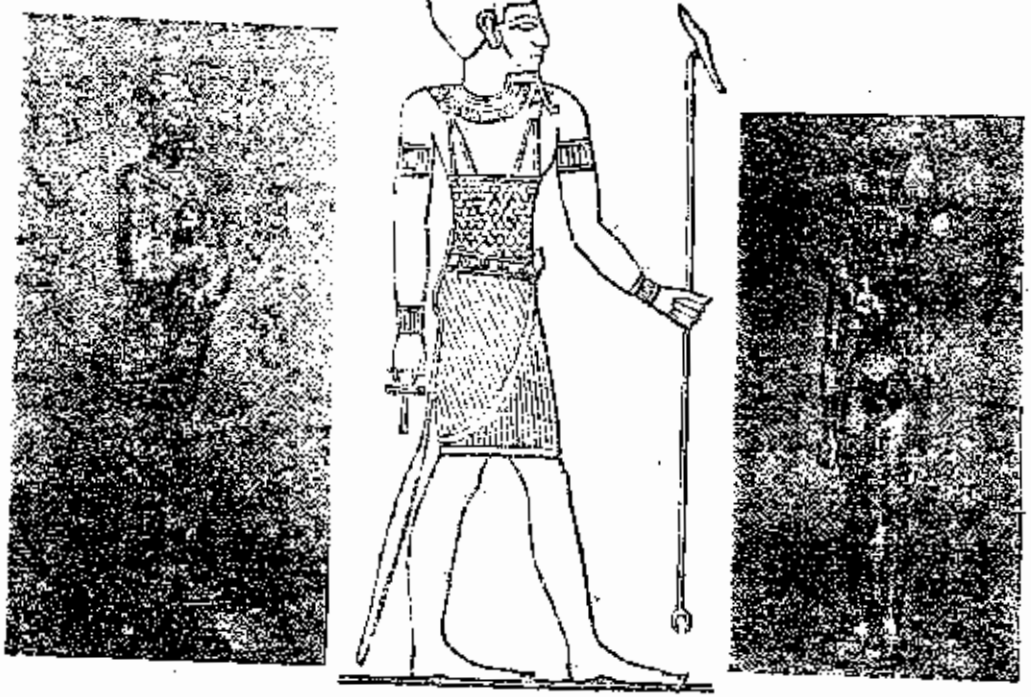

ش ٩ ش ٨ ش ١٠

ثالوث منفيس (٨) امحوتب اله الطب المصري القديم والى يمينه رقم (٩) الاله فتاح والى يساره رقم (١٠) المعبودة سخمت

فقد نشأت الاسرة ٢٦ المعروفة بالاسرة الصاوية ، ذات العصر المجيد في تاريخ مصر القديم . ولما عاهدت أعمال « أمحوتب » وآثاره الخالدة ، أرادت مكافأته خير مكافأة ، فلم تجد خيراً من تأليهه ورفعه الى درجة إلـه . ولقبته بابن الإلـه فتاح (ش٩) وصار عضواً في ثالوث منفيس الذي تكوّن من فتاح وزوجته سخمت (ش١٠)، و« أمحوتب » الذي سمّاه اليونان « امونيس Amonithes » و « اسقولافيوس Asklepios » .

وقد شيّد له المصريون معابد كثيرة بوصفه إلـه الطب ، أهمها معبد ممفيس الذي صار أكبر مستشفى ومدرسة للسحر والطب بعد ذلك ، ولكن مما يؤسف له أن الامبراطور « ثيودوسيس » هدم ذلك المعبد ، وكان به صندوق للصدقة على شكل حية (ش ١١) وهذا الصندوق لا يزال محفوظاً بالمتحف المصري بالدور الأسفل منه في الطرقة الشرقية

ويرجع تاريخه الى العصر الروماني المصري .

وأقاموا له معبداً آخر يسمى « الاسقولافيون » Asklepion

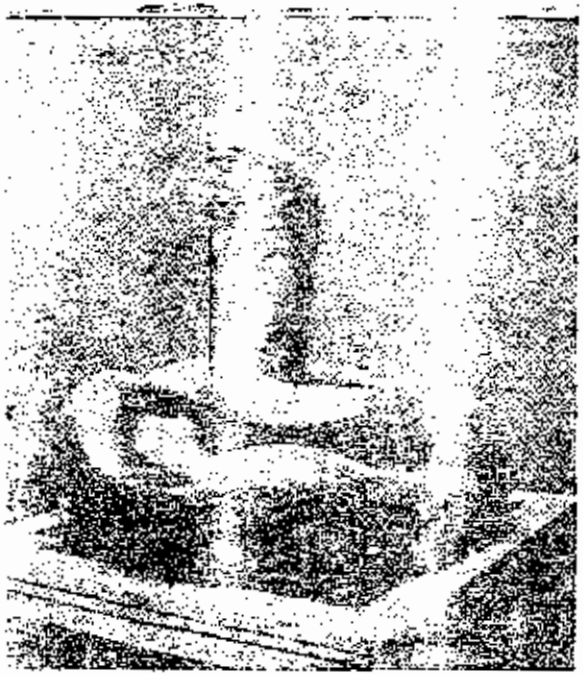

(ش ١١)
صندوق الصدقة على شكل حية محفوظ بالمتحف المصري بالطبقة السفلى

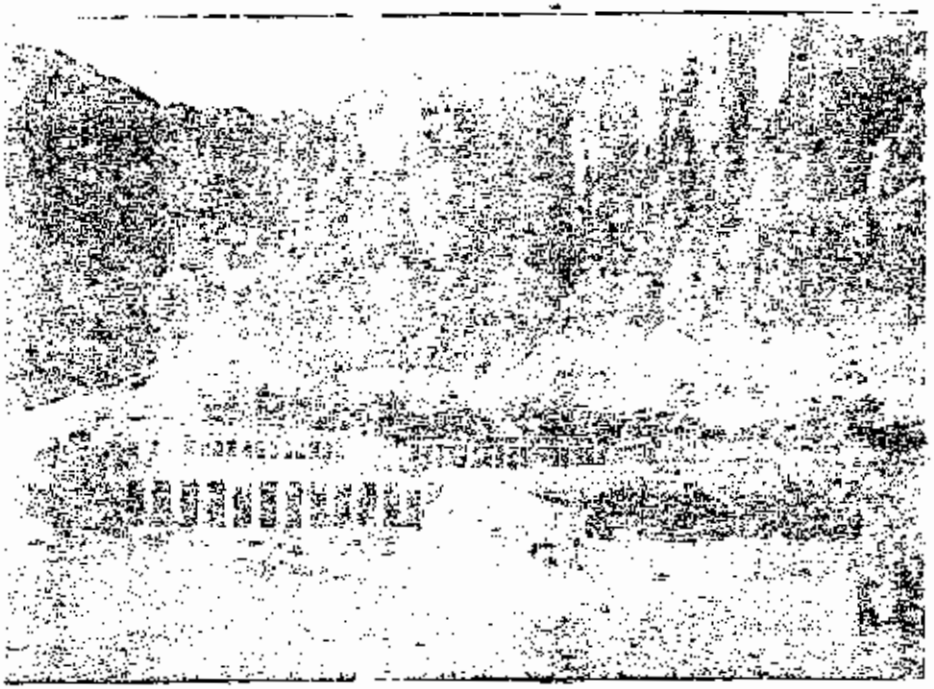

(ش ١٢) معبد الدير البحري بالاقصر الذي شيدته الملكة حتشبسوت

بجزيرة « فيلة » الشهيرة باسم « الجزيرة المقدسة » شيّده بطليموس الثاني حوالي سنة ٢٨٣ — ٢٤٥ ق . م ، ورغم كرّ العصور ، وغمره بماء الفيضان[1] الذي يغمره سنويًا ، بقي هذا المعبد قائماً للآن . كذلك شيّد بطليموس الثامن حجرة في معبد الدير البحري (ص ١٢) خاصة بأمحوتب وأمنوفيس بن حابي .

* * *

المكتبات الطبية لأمحوتب

(إسقولافيوس) بممفيس

كان لكل معبد هام بمصر القديمة مكتبة خاصة به ، تحوي كتباً مخطوطة على جلد الغزال ، أو على ورق البردي ، وقد دوّنت بها الطقوس الدينية التي كانت تؤدّى يوميًا في تلك المعابد . وكان بعض الكتب يدوّن به « كتاب الموتى » الذي كان لزاماً على كل مصري أن يحفظه عن ظهر قلب . وكان بمعبد « إسقولافيوس » بممفيس ومعبد فتاح ، كتب « تحوت » المقدسة محفوظة بهما .

وكان لزاماً على كل طبيب أن يطلق عليها علاج المريض الذي يقوم بعلاجه ، ويعاقب الطبيب الذي يخالف التذكرة الطبية المصرح له باستعمالها في معالجة المريض . وقد نقل بعض الأطباء مثل « ثيوفراسطوس » (Theophrasle) و « ديوسقوريدس » وغيرهما بعض العقاقير والتذاكر الطبية المصرية ، وطرق تشخيص المرض التي تعلموها في معبد فتاح أو « أمحوتب » بممفيس ، ثم انتشرت بعدئذ في أوروبا . وفي الحقيقة أن اليونان نقلوا كثيراً من العقاقير والتذاكر الطبية المصرية ، ثم نقلها عنهم جميع شعوب الأرض .

في الأعياد المخصصة للمعبود أمحوتب يذكر « جوتييه » ان الفراعنة في ممفيس كانوا يقيمون ستة أعياد في السنة اكراماً للمعبود « أمحوتب » :

فالعيد الأول كان لمناسبة ميلاد « أمحوتب » الذي ولد من امرأة بشرية ، وأبوه الاله « فتاح » الذي فرح بمولده كثيراً .

والعيد الثاني كان يقام في مثل اليوم الذي كانوا يحتفلون فيه عظيم الاحتفال بنقل تمثال « أمحوتب » من معبده الى معبد « فتاح » حيث كانت تؤدي له الطقوس الدينية .

---

(١) فيضان النيل

والعيد الثالث في ذلك اليوم الذي انتقلت فيه المعبودة « سخمت » لإمحوتب من الأمورين الأدبياء ... ذه من بين سائر الإنسانات .

والعيد الرابع في ذلك اليوم الذي ترقى فيه « أمحوتب » كان يقيمه أبوه فتاح .

والخامس تذكاراً لدفنه .

والسادس عيد تأليهه .

وقد بقيت عبادة أمحوتب وتأليهه حتى القرن الرابع بعد الميلاد ثم بطلت من بعد ذلك .

* * *

فكيف بطلت عبادة أمحوتب ؟ استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق . م . وحصلت تغييرات اقتصادية كثيرة في مصر وفي خارجها ، وانتشرت الديانة المسيحية في القرن الثاني بعد الميلاد . في جميع أنحاء البلاد المصرية ، وبخاصة في الاسكندرية ، واعتنق الديانة المسيحية الملك قسطنطين سنة ٣١٣ ب . م . ، وأمر الامبراطور « ثيودوس » الكبير سنة ٣٨٠ ب . م . بأن تعتبر الديانة المسيحية دين الدولة المصرية ، وأدخل اليونان في مصر علومهم وثقافتهم النظرية من تاريخ تأسيس مدينة الاسكندرية سنة ٣٣١ ق . م . ، كل هذه الأسباب مجتمعة كانت كافية في إسعاف وإبطال عبادة « أمحوتب » في الديار المصرية .

* * *

هذا ما أردنا ذكره في هذا المقال عن الوظائف التي شغلها أمحوتب ، والصفات العالية التي امتاز بها من وفرة الذكاء وقوة الارادة وسمو الآداب ودماثة الأخلاق ، وغير ذلك من الصفات التي رفعته الى صف العلماء المشهورين والعظماء المعروفين في التاريخ المصري .

فهو إذن لم يترك مثلاً رائداً في إحدى مقابر ممفيس ، بل بقي خالد الذكر الى يومنا هذا بما اختص به من الدرجات التي لم ينلها أحد قبله ولا بعده من الفراعنة ، حتى رقي الى درجة آلهة الطب ولقد صدق فيه القول المأثور :

« لم يمت من طاشت شهرته » "Non moritur cujus fama vivit" . واكراماً له أنشأ علماء المصريين أباه وأمه وزوجته وابنه تمجيداً له .

انطون زكري
أمين مكتبة المتحف المصري سابقاً